

## المفارقة في الخطاب القرآني

م.م . نوال مطشر جاسم

آداب لغة عربية

وزارة التربية - مديرية التعليم المهني

### الملخص :

بعد التوكل على الله تعالى بحثنا في موضوع المفارقة في الخطاب القرآني ووجدنا أن هذا المصطلح النقدي له جذور عميقة في المكتبات العربية، كما له دراسات أجنبية توضح ما يدور حوله من مفاهيم . وإنّ هذه المفاهيم تصب في نحو واحد ، إذ تصور المفارقة بأنها ضرب من التأنق اللفظي ، والاستحسان المعنوي ، وصاحب المفارقة من يجعل هذا الأسلوب يحقق هدف إيصال المعنى بأقل الوسائل . وينصرف الحديث في خطاب المفارقة غالبا حول ثلاث أشكال رئيسة وهي : مفارقة النغمة ، والمفارقة البنائية ، والمفارقة اللفظية ، غير أن هناك ما يدل على توفر حالات أخرى وهي : مفارقة الحكاية أو الإيهام ، ومفارقة الإلماع ، ومفارقة المفهوم أو التصور ، ومفارقة السلوك الحركي ، وبذلك نقول : إنّ للمفارقة سبعة أنواع مختلفة بنيةً ، ووظيفة وقد تم تسليط الضوء عليها ضمن نصوص قرآنية تدور محاورها حول الوعظ ، والسخرية إلى جانب الكشف عن الذات والمكونات الداخلية لإبطال القصص التي تحدّث عنها القرآن الكريم ومع كل ما تقدم وما يمكن أن يقدم تبقى الدراسات القرآنية قاصرة عن الوصول للغاية فهي تتعامل مع نص من أرقى النصوص الأدبية ، لكننا نأمل أن نقدّم لبنة تسهم إلى حد ما في فهم أبعاد النص القرآني الكريم .

## ABSTRACT

After taking assistant by Allah, we might discuss the paradox in the Quran discourse, it found that term has deep origins especially in Arab libraries, as well the foreign studies.

It illustrate the concepts around it, the concepts are poured in one way, as the paradox is conceived as a blow of verbal rigor, moral approval, and the paradox of making this method achieves the goal of delivering meaning by the least means.

The discourse in the discourse of irony often revolves around three main forms: the irony of the tone, the structural paradox, and the verbal paradox, but there is evidence of the existence of other cases: the paradox of the story or the illusion, the paradox of hearing, the paradox of concept or perception, and the paradox of motor behavior, we say that "Paradoxically, seven different types of structure and function have been highlighted in Quran texts revolving around preaching, ridicule, self-disclosure, and inner convictions to discredit the stories of the Quran."

The above and what can be provided, the Quran studies remain very limited, they deal with some of the finest literary texts, but we hope to provide a brick that contributes to a certain understanding of the dimensions of the Quran text.

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد (صل الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام ) أما بعد...

فإن المفارقة مصطلح نقدي حديث ظهر في أفق الحركات الأدبية، والنقدية الحديثة وأخذ يتسع اتساعاً كبيراً، فدخل في الكثير من البحوث والدراسات التي تناولت الأدب العربي القديم والحديث على حد سواء، إلا أنها لم تسلط الضوء على دراسة النص القرآني . مع أن القرآن أرقى النصوص الأدبية . دراسة وافية توضح أبعاد المفارقة، وتكشف أهميتها، وكيفيه تشكيلها، وتبين أثرها في إثراء النص الكريم، وإفادتها للمعنى الذي جاءت ضمن سياقه مع أن القرآن الكريم كتاب عزيز بالمفارقات، باستثناء الدراسة التي قام بها الدكتور (محمد العبد) بعنوان (المفارقة القرآنية) التي شددت على الجانب الأسلوبي، والجمالي الفني للمفارقة في النصوص القرآنية، وأطروحة الدكتوراه لـ (أسعد مكي الخفاجي) الموسومة بـ (المفارقة في القرآن الكريم).

ونظراً لأهمية الموضوع فقد وجدت فيه مناسبة طيبة لإبراز . ولو بالشيء البسيط . عظمة القرآن الكريم من الناحية اللغوية والدلالية ؛ ولأجل الوصول إلى النتائج التي تم تحديدها ، فقد قسم البحث إلى دراستين أولها: دراسة نظرية تتضمن دراسة توضيحية لمعنى المفارقة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والأخرى: دراسة تطبيقية ركزت على أنواع المفارقة السبعة من خلال النصوص القرآنية الكريمة، تليها خاتمة لأهم ما توصل إليه البحث من نتائج .

أما المصادر التي اعتمدتها فكانت موزعة بين كتب التفسير القديمة والحديثة، وكتب علوم القرآن، والبحوث، والدراسات الأكاديمية التي تناولت مصطلح المفارقة بالدراسة.

وفي الختام لا بد أن أذكر أن هذه الدراسة محاولة مني لقراءة النص القرآني والوقوف والتأمل لعظمة الخالق وعظمة أسرار اللغة القرآنية وحيويتها، وجمالها، ومواطن الجمال المتنوعة فيما ومنها تقنية المفارقة، لذلك تبقى قاصرة عن الوصول للغاية المنشودة ، لكنني أسأل الله تعالى التوفيق إنه سميع الدعاء .

الباحث

## المفارقة في الخطاب القرآني :

### التعريف بالمفارقة :

### المفارقة لغةً:

قبل الدخول في أية دراسة علمية، يجب على الباحث توضيح المنهج الذي نهجه في استقراء مادة بحثه، وعلى هذا الأساس يمكن أن أحدد معاني المفارقة في موضوعين أولهما لغوي والآخر اصطلاحاً.

فنقرأ في تضاعيف سطور بعض المعجمات ما نصه: "الفرق: تفریقٌ بين فرق وتفرق القوم وافترقوا: أي فارق بعضهم بعضاً" (١). وجاء في القرآن الكريم: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (٢)، ونقرأ أيضاً: "الفرقان: القرآن، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان" (٣) إذ يقول تعالى في كتابه العزيز: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ} (٤) وقال أيضاً: {وَفَرَّقْنَا فِرْعَوْنَ} (٥) وقوله في الذكر الحكيم عن يوم بدر: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ} (٦)، فالله سبحانه أظهر وهو نصره ما كان مفراً بين الحق والباطل.

ونجد "أن (الفرق) خلاف الجمع، فرقه يفرقه، فرقاً... واتفرق الشيء وتفرق وافترقا" (٧). والمفارقة اسم مفعول ل (فارق) ومصدرها (فرق) بسكون الراء، ومفارقة الطريق متشعبه الذي تتشعب منه طرق أخرى (٨). ومن فرق بين الشيئين فصل وبين أحدهما عن الآخر (٩) ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى {فَأَفَرُّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} (١٠).

ونطالع أيضاً ما نصه: "فرق بين الشيئين من باب نصر أي أخذ حقه منه بالتفريق" (١١). ومن كل ما تقدم نجد أن المفارقة تعني التفريق بين أمرين مع الاعتقاد من صاحب الأمر أن أحدهما حق والآخر باطل؛ لكن المعنى اللغوي قد طرأت عليه مجموعة متغيرات في ظل البيئة المحيطة جعل من المستمع لهذه الكلمة "يدرك في التغيير المنطوق معنى عرفياً يكمن فيه من ناحية ومن ناحية أخرى، فهو يدرك أنه لا يصح أن يأخذ السياق على قيمته السطحية" (١٢) فالمنطوق يرمي إلى معنى آخر يحدده الموقف التبليغي وهو معنى مناقض عادة لهذا المعنى العرفي الحرفي وعلى ذلك سوف نشرع بدراسة المفارقة اصطلاحياً.

### المفارقة اصطلاحياً :

بعدما درسنا المفارقة لغوياً نحاول أن نلقي الضوء على معاني المفارقة من الناحية الاصطلاحية مستعينين بالدراسات العربية القديمة من جهة، والحديث من جهة أخرى إلى جانب بعض الدراسات الأجنبية . فمن كتبنا العربية حسبنا أن نسبر أغوار الدراسات الأدبية والنقدية بحثاً عما يفضي إلى بلورة مصطلح (المفارقة) ، إذ يتضح لنا خلو هذه الدراسات من لفظة المفارقة نفسها ظافرين بما يندرج تحت دلالاتها ومعانيها .

إذ أورد الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في باب التعريف بالبلاغة كلاماً أقرب ما يكون إلى دلالة المفارقة وهو ما نصه: " لو أن رجلين خطبا أو تحدثا، أو وصفا كان أحدهم جميلاً جليلاً، ولباساً نبيلاً وذا حسب شريفاً وكان الآخر قليلاً قميئاً، ذميماً، خامل الذكر مجهولاً وكان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب، لتصدع عنهما الجمع ،وعامتهم تقضي للقليل الذم على النبل الجسيم...،ولصار التعجب منه سبباً للتعجب به...؛ لأن النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أياس ومن جسده أبعد...، وظهر منه خلاف ما قدره...؛ لأن الشيء من غير معدنه أغرب وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبعد " (١٣).

فلو قصد الجاحظ أن يفصل في المفارقة مصطلحاً نقدياً لما كان أكثر دقة وأشد وضوحاً مما ذكر . وعالج ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ظاهرة التطير والتفاؤل عند العرب من زاوية رصد مقارب للمفارقة، وذلك ما نقله عن الأصمعي: " سألت ابن عوف عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغياً فتسمع يا واحداً " (١٤) ، وهذه إحدى معاني المفارقة، إذ يكون مريضاً، فيقال له سالماً، وكذا في باغ . ونجد في التشبيه كلاماً يقترب من روح المفارقة، إذ يُقال أن: " هناك ما يجيء فيه التشبيه معقوداً على أمرين إلاّ إنهما لا يتشابهان هذا التشابك قولهم: هو يصفو ويكبر، ويمر ويحلو ويشج ويأسو ويسرح ويلجم؛ لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له صفتين فليست أحدهما مترجمة بالأخرى " (١٥).

فالمفارقة هنا ضرب من التأنق، من الناحية الأسلوبية، وهدفها الأول "إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تذكيراً، وصاحب المفارقة المتمرس يستعمل من الإشارات أقلها " (١٦)، ويبدو أن هذا التعريف يقترب بشكل أو بآخر من قول ميوبك: " عندما تكون الصورة فكرية أو أدبية سواء بالإفصاح عن قول أو بإيصال رسالة فإنها عند ذلك تتصف بالمفارقة (١٧) .

وبذلك تكون المفارقة على أغراض منها: التوبيخ، والمبالغة في المدح أو الذم، والتعجب (١٨)، والكناية التي سماها قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) بالمبالغة "إذ يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالطاهر" (١٩).

وهناك على سبيل المثال لا الحصر (المدح بما يشبه الذم، أو الذم بما يشبه المدح) وهما أسلوبان بلاغيان عرفا في فن المفارقة، فكلاهما يحققان تضادا وتناقضا، وكذلك التورية فهي مشتركة في كونها دالة على أمور بظاهرها ويفهم عند ذكرها أمور أخرى غير ما تبديه (٢٠).

فلنلاحظ أن مصادرنا القديمة تضيء بالكثير من الأساليب البلاغية التي تجمع بين النقيضين، وكل هذه الدراسات. في حقيقة أمرها. تمثل جذوراً للمفارقة بمصطلحها الحديث.

أما الدراسات العربية الحديثة فقد تناولت المفارقة على أنها مصطلحاً نقدياً، إذ أضافت بعضاً منها لبناء في بناء ذلك المصطلح، مما جعله أكثر وضوحاً في الذهن، وبعضها الآخر بدا المصطلح فيها غامضاً عصياً على التحديد.

فثمة من يؤكد: إنه من الصعوبة بمكان وضع تعريفاً محدداً ودقيقاً للمفارقة، وإن هذه العملية أشبه ما تكون بالإمساك بالضباب، وأن المفارقة تعبيراً لغوياً بلاغياً يرتكز بالأساس على تحقيق العلاقة الذهنية (٢١). وبذلك تعدّ المفارقة لعبة لغوية ماهرة وذكىة بين طرفين: صانع المفارقة، وقارئها، إذ يجعل القارئ شريكاً أساسياً في صنع المفارقة (٢٢).

كما تعدّ المفارقة في دراسة أخرى جوهر الحادثة والانفتاح، لأنها وحدها قادرة على إقامة عالم جديد مُتخيل على أنقاض عالم الواقع المعيش (٢٣)، وبذلك ندرك إن المفارقة ارتكزت على الصورة الخيالية التي يبينها صانع النص لا على الطرف الآخر وهو المتلقي.

وممن اعتنى بمفهوم المفارقة الدكتور عبد الهادي خضير فيقول: "إنّ المفارقة تعبير لغوي بأسلوب بليغ يهدف إلى استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري المتناقض للعبارة، والوصول إلى المعاني الخفية التي هي مُراد الشاعر الحقيقي" (٢٤).

فهو يؤكد حقيقة في غاية الأهمية وهي مسألة وعي القارئ وإدراكه للوصول إلى المعنى الخفي الذي قصده صانع المفارقة "ولا نعني بذلك قارئاً محدداً بل القارئ القادر على قراءة النص بصفة عامة" (٢٥)، أذن هي: "لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيداً" (٢٦).

في حين يذكر آخرون " أن المفارقة مصطلحاً نقدياً ورؤية فكرية تقدم بلا تحيز وهي تغدو أشد وقفاً وأكثر وضوحاً عندما يشتد التضاد أو التناقض أو التناقض في هاجس النفس الإنسانية وتطلعاتها" (٢٧). وفي هذه الدراسة " يوافق الباحث كل ما ذهب إليه وما عرض من آراء النقاد الغربيين، دون أن يذكر رأيه صراحة في ذلك " (٢٨)، فكان تفصيله يحمل شيئاً من الغموض، فالمفارقة: " وسيلة أسلوبية تُعزز التلقي وتنمية" (٢٩)، وكأنها تمثل بنية أسلوبية تسهم في تشكيل الموضوع الأدبي تشكيلاً ذا طابع فني . وهو ما أكدته باحثون آخرون من أن " المفارقة بنية أسلوبية موضوعها الأساس هو التضاد، ووظيفتها الرئيسة هي تحقيق الدهشة لدى المتلقي من خلال كسر توقعاته، وتحتل حداً فاصلاً بين حدّين، وتصح عن نفسها من دون أن تذكر صراحة، بل يلجأ القول المفارق إلى التلميح والإشارة " (٣٠). وهناك من توسع في تفصيل المفارقة، إذ نرى موضوع " مفارقة الموقف " التي تتلخص بمفارقة الرفض والسخرية والتضاد المتداخل والصورة الهازلة وتأكيد الذم بما شابه المدح و"مفارقة الزمن" التي أدرجت تحت عنوانها كل ما له علاقة بذلك (٣١).

بعد كل ما تقدّم يمكن الخروج بحقيقة : إن المفارقة تقنية لغوية تنتج دلالة متضادة تفاجئ القارئ وتدهشه فتثيره بوعي منه أو لا وعي لأمر يدعو إلى السخرية والتهكم، فهي نمط أسلوبية أساسه التناقض بين ما هو حقيقي وزائف ليثير ذهن القارئ.

### أنواع المفارقة في الخطاب القرآني:

مما لا شك فيه أنّ المفارقة تُعدُّ أسلوباً من أساليب إنتاج الدلالة اللغوية، ويعتمد عليها في تشخيص ملامح الإعجاز اللغوي ومحدداته في الخطاب القرآني ، وهي واضحة المعالم في شتى جوانب هذا الخطاب، وبعد إطلاعنا على الدراسات الحديثة، وجدناها حددت ثلاثة أشكال رئيسة ينصرف إليها الحديث في خطاب المفارقة غالباً وهي: مفارقة النغمة، والمفارقة البنائية، والمفارقة اللفظية . غير أن هناك ما يدلنا على توافر حالات أخرى، وعرفت باسم مفارقة الحكاية أو الإيهام، ومفارقة الإلماع، ومفارقة المفهوم أو التصور، ومفارقة السلوك الحركي، بمعنى أنه قد عُرف للخطاب القرآني سبعة أنواع مختلفة: بنيةً ووظيفةً ، لذا حاولنا تسليط الضوء عليها جميعاً في هذه الدراسة .

## أولاً: مفارقة النغمة :

هي نوع من التهكم الذي يبدو ذمّاً في ثوب المدح، "وتعني أداء المنطوق بنغمة تهكمية، إذ يعتمد عليها في إظهار التعارض أو التضاد، بين ظاهر المنطوق وباطنه بين سطحه وعمقه، بحيث تقتلع هذه النغمة التهكمية محتوى هذا الظاهر لمصلحة الباطن المضاد" (٣٢).

ويتميز هذا النوع من المفارقة، بنغمة عالية سامية وذلك لإظهار التهكم على المستويين اللفظي

والتركيبى .

ومن مفارقة النغمة ما نجده في قوله عز وجل: {لَذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً\* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً\* وَبَنِينَ شُهُوداً\* وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً\* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ\* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً } (٣٣). فقوله تعالى: " وحيداً " حال من الله عز وجل على معنيين، أحدهما: ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم، والثاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، أوقد يكون حال من المخلوق على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد.

"وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية، فإن كان ملقباً بذلك قبل، فهو تهكم به وبلقبه وتغير له عن الغرض الذي كانوا يؤمنونه في مدحه، والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم" (٣٤).

وتبدو مفارقة النغمة في هذه الآيات واضحة من تكرار حرف الألف عدة مرات ومن المعروف أن حرف الألف يقتضي مدّاً في الصوت وتطويلاً، وبما أن الباري عز وجل قد رسم صورة واضحة المعالم لهذا المشرك المعاند فيأتي التقصيل في أنه وحيداً لا ناصر له ولا معين أمام خالقه في قوله تعالى: {لَذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً } فنتصور هذا المشهد الرهيب وكأنه واقف في أرض جرداء ويرتد الصدى عدة مرات من خلال تكرار الألف الممدودة وكأننا نسمع كلمة (وحيداً) بهذا الشكل " وحيداًآآآ " وهذا ما يتكرر في الكلمات الأخرى " ممدوداًآآآ " و "شهوداًآآآ " و "تمهيداًآآآ " . ويسهم هذا المد وتكرار صدهاء في رسم صورة صوتية تدلّ على وقوفه في ذلك المكان المنقطع بين يدي ربه واقفاً للحساب يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.



## ثانياً: المفارقة اللفظية

تكشف المفارقة اللفظية عن قوة العلاقة بين المفارقة والمجاز كما تصنف تصنيفاً تقليدياً على إنها : "إحدى صور المجاز، ويلاحظ إن ما يؤكد المتكلم في ظاهر القضية التي تعرضها المفارقة اللفظية يختلف عن المعنى الضمني الذي يرمي إليه المتكلم فيها" (٣٥).

وتتحقق المفارقة اللفظية في مجموعة من المستويات، إذ يجتمع فيها أكثر من عنصر، فهي تشمل على المغزى أو الفعل الإنجازي، وهو مقصد القائل، وهذا العنصر قد يتراوح في درجات عنفه وقوته بين العدوان والتدليل اللين، وتشتمل كذلك على عنصر لغوي أو بلاغي وهو عملية عكس الدلالة، ويتمثل هذا العنصر في الشكل المغاير (٣٦).

إنَّ استقراء هذا النوع من أنواع المفارقة في الخطاب القرآني يدلنا على أنه متوقف على تغيير مجال الاستعمال اللفظي إلى الضد تهكماً (٣٧)، بمعنى انتقال اللفظ من حقله الدلالي المعروف له في أصل الاستعمال ، إلى حقل دلالي آخر، فتكون علاقة دلالية جديدة من نوع التضاد أو التخالف، ومن هذه المفارقات اللفظية في قوله تعالى: {مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ} (٣٨) فقوله: {مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمُ} تعني: أمام، أي من وراء الجبار العنيد جهنم وهي بالمرصاد، يسكنها مخلداً يوم المعاد (٣٩)، كما تعني أيضاً : "من بين يديه" (٤٠). وهو وصف لحال الكافر ؛ لأنه مرصد لجهنم، فكأنها بين يديه، وهو على شفيرها، أي أنها أمام عينيه .

أما قوله تعالى: { مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ } فالصديد عطف بيان للماء، قال : " ويسقى من ماء " فأبهمه إبهاماً ثم يمينه بقوله: " صديد " وهو ما يسيل من جلود أهل النار، والصديد كما هو معلوم ما يسيل الدم ونحوه أي أنه مثل الماء يسيل، فجعل تعالى الصديد ماء وهو تشبيهه ببلغ ؛ كونه شأن الماء يسقى به أهل النار، ولذا جعل " الصديد " عطف بيان لـ " ماء " وهذا من وجه التشبيه البليغ. (٤١)

إنَّ هذه الآيات تبين لنا حال أهل النار وما يحل عليهم من أنواع العذاب فيصور لنا الماء الذي يستسقونه بالماء الذي يسيل من الدم، وهذا ما نعينه بالمفارقة اللفظية .

ويمكن أن نجد أيضاً في قوله تعالى: {فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا} (٤٢) . عند ذكر أصحاب الكهف . مفارقة لفظية ، " فضرب، ضرباً إذا أوقع بغيره ضرباً" (٤٣) . فخرجت في قوله تعالى: " فضربنا على آذانهم " من المعنى الحقيقي لها إلى بيان قدرة الله عزَّ وجل في كونه ألقى عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة (٤٤).

فتتجسد المفارقة اللفظية من خلال قوله عزَّ وجل (فضربنا) لمعنى النوم.

### ثالثاً: مفارقة الحكاية أو الإيهام

يستعمل البيانون اصطلاح " الإيهام " والإيهام عندهم : "أن يذكر لفظ له معنيان، إما بالاشتراك ،أو التواطؤ، أو الحقيقة، أو المجاز، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد، ويوارى عنه بالقرب، فيتوهم السامع من أول وهلة " ( ٤٥ )، وإن طريقة الإيهام في المفارقة، تأخذ من المعاني السابقة إلى المعنى المجازي، أي مجاورة المعنى المنطوق لضده أو نقيضه (٤٦) .

وعلى ما يبدو فإن هذا النوع من المفارقة يشبه إلى حدٍ ما المفارقة اللفظية ، فكلاهما يقترب من المجاز إلاّ إنهما . فيما اعتقد . يختلفان في أن الأولى تعطي لفظة ذات دلالة غير التي وضعت لها، أما الأخرى فإن مغزاها يتجسد في حكاية توهم السامع أو المتلقي فتخرج من المعنى الحقيقي إلى المجازي. وإذا نظرنا إلى الخطاب القرآني، وجدنا من هذا النوع قوله جلّ ثناؤه: **لَيَأْتِيَنَّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ { (٤٧) } .**

فضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً للناس للدلالة على قدرته ، فأصبحت الصفة أو القصة الرائعة الملقاة مستحسنة ومستغربة تشبيهاً لها ببعض الأمثال السائرة، وقد جاء النفي في قوله تعالى: " لن يخلقوا " نفيّاً مؤكداً، للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل ومنافٍ لأحوالهم فمحال أن يخلقوا .

وقوله " ولو اجتمعوا له " كأنه قال: مستحيل أن يخلقوا الذباب، وإن اشترط عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش ، إذ أنهم وصفوا بالإلهية . التي تقتضي الاقتدار على المقدرات كلها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها . صور وتمثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه عز وجل، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا (٤٨)، فأدل ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم .

أما قوله تعالى: "ضعف الطالب والمطلوب" فهو كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت لوجدت الطالب أضعف ؛لأن الذباب حيوان والأصنام جماد، فهذا غالب وذلك مغلوب.

وبهذا تتحقق مفارقة الحكاية أو الإيهام ، إذ إنّ الله تعالى يضرب مثلاً بحكاية حاول المشركون أن يلصقوا صفاتها إلى آلهتهم التي هي اوهن وأضعف مما يصفون ،فالمفارقة تكمن في ثراء الدلالة الذي أنجزه الجزء الأخير من النص لأنه في الظاهر إيهام المعنى الذي يصف وهن وضعف الطرفين ومن وراء ذلك دلالة خفية تنسف الاعتقاد بغير الله .

ويروي لنا القرآن الكريم هذا النوع من المفارقات في قصة أصحاب الجنتين المتمثلة بقوله تعالى: {وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا } (٤٩) إلى آخر النص الشريف .

فبعد ما بيّن الله سبحانه وتعالى ما أعد لأهل الشرك وذكر ما يقابله مما أعدّه للذين آمنوا ، يبين حال الفريقين بقصة أظهر فيها تأييده للمؤمنين ، وأهانته للكافرين ، فضرب مثلاً للفريقين ، المشركين والمؤمنين بمثل رجلين كانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر والآخر مؤمن ، فكان عاقبة الكافر تباباً وخسارة ، وكانت عاقبة الآخر نجاحاً ، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الازدراء ، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن دينه من صلاح ونجاح (٥٠) .

ومن تحليلنا لتلك الآيات يبرز لنا نوع من المفارقة (مفارقة الحكاية أو الإيهام) ، إذ ضرب الله لنا مثلاً لرجلين يبين فيهما حال المؤمن ، والكافر في الدنيا ، والمراد من ذلك تنكير للكافر ووعظه ، وأن العطاء الذي يناله في الدنيا إنما هو وما يؤول إليه كحال الماء ، فشرع الله تعالى ببيان صفات تلك الجنتين وما يحيط بهما ، إذ يقول : {وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ} ويذكر ما بينهما : {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا} وأنه تعالى لم يظلم منهما شيئاً : {كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا} إلى غيرها من الصفات الظاهرة بوضوح للقارئ .

وبعد أن ذكر صفات الجنتين تبرز المحاورة بين الطرفين إذ يقول تعالى : {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} أي "أكثر خدماً وحشماً وولداً" (٥١) .

ويكرر الفعل (قال) في الآية الكريمة: {قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} دلالة على الكفر والتمرد والعناد ، وذلك اغتراراً منه ، لما رأى فيها من الزرع والثمار والأشجار والأنهار لإعجابه بالحياة وزينتها (٥٢) ، ثم يقدم مقارنة يعقدها الكفار بأنفسهم فيقوله تعالى: { وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسْنَى } وقوله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} (٥٣) والسبب أنه تعالى " لما أعطاه المال في الدنيا ظن أنه إنما أعطاه كونه مستحقاً له ، والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول العطاء " (٥٤) .

ويسترسل النص بأسلوب الحوار في سياق القصة بقوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ} ، إذ جاء الفعل " قال " غير مقترن بفاء ، وذلك من شأن حكاية المحاورات الواقعة وكأنها مثلاً أو قصة معلومة أريد منها العبرة ، كما في المواظ بمصير الأمم الخالية (٥٥) ، وينتهي المطاف بما أصبح عليه الكافر وماله في قوله تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا }

نجد أن الله سبحانه وتعالى ضرب لنا مثل الرجلين بأسلوب الحكاية، إذ لم تكن الغاية قصتهما، وإنما لمنظور أبعد، مستعينا للوصول لتلك الغاية بأسلوب المفارقة؛ كون القصة اقرب للنفس البشرية من الوعظ المباشر، فكانت البداية بإنزال الماء والخيرات والنهاية الهشيم، والمراد بذلك كله هو التهوين والتهكم من شأن زينة الدنيا.

#### رابعاً: المفارقة البنائية

إنَّ وظيفة المفارقة البنائية، هي تدعيم بنية الدلالة في النص وتأكيدهما؛ ومن أجل ذلك عرفت باسم المفارقة المدعمة أو المعضدة (بكسر العين والضاد المضعفتين) (٥٦).

وفي الخطاب القرآني، يمكننا أن نرى شكلاً للمفارقة هو أقرب شيء إلى المفارقة البنائية، إذ يجعل النص القرآني المحكم متكلاً آخر يُنزل بغيره تهكماً، فيصير هذا التهكم ذاته وقد انقلب إلى تهكم بالمتكلم الأول نفسه (٥٧)، فالمفارقة هنا أشبه بالبناء؛ إذ أن في النص طرفان، وثالثهما المستمع الأول: يمثل النص المحكم، والثاني: هو المتكلم الذي يحول النص إلى تهكما.

كما أن التهكم الذي يحمله المنطوق، لصياغته وبنيته الخاصة، يخفى على ذلك المتكلم بالطبع، أو يجهله، ولكنه مفهوم ومدرك لدى المستمع أو قارئ النص (٥٨).

ونلاحظ أن هذا اللون من المفارقة يرد تسفيهاً لمن يستحق أن ينزل به التهكم، وإن جهل سفيهه وتمادييه الذي لا يخفى سيره في الضلال والغواية والتخبط الأعمى، وبذلك تصبح المفارقة البنائية أداة لتوكيد ظهور المعنى بوجهين مختلفين، أي لعرض مستويين من مستويات المعنى وهما: (الظاهر) بغية الوصول إلى مستوى آخر (المعنى الباطن) الذي ترمي إليه البنية الدلالية العميقة للمنطوق أو عدد من المنطوقات التي يضمها النص (٥٩).

ولعل هذا النوع من المفارقات في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٠).

فالله سبحانه شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها، ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك فيه مدح رسول الله (ﷺ) والبشارة به لكنهم لم يؤمنوا به، فهم كالحمار الذي حمل أسفاراً ولم ينفعه ما يحمل.

فمعنى (حملوا): عهد بها إليهم، وكلفوا فيها فلم يقوموا بما كلفوا، وإطلاق الحمل وما ينصرف منه على هذا المعنى استعارة تشبيهية، أي إيكال الأمر بحمل الحمل على ظهر الدابة، وبذلك كان تمثيل حالهم بحال الحمار يحمل أسفاراً تمثيلاً للمعنى المجازي بالمعنى الحقيقي (٦١)، فنجد المفارقة البنائية تتجسد في الآية الكريمة من خلال وصف اليهود الذين عهد إليهم حمل التوراة بحال الحمار الذي يحمل الأسفار دون

علمه وانتفاعه بما يحمله، وهذا التمثيل يقصد منه تشنيع حالهم وهو تشبيه المعقول بالمحسوس المتعارف فالطرف الأول (النص المحكم): القوم الذين حملوا التوراة، والآخر: صورة الحمار الذي يحمل أسفارا، فحول النص إلى تهكم بالقوم الذين كذبوا بآيات الله تعالى.

وتتمثل المفارقة البنائية أيضا في قصة موسى والعبد الصالح (عليهما السلام) عند قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.... ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا } (٦٢). فبعد قراءتنا للقصة وما جرى فيها من أحداث نجد أنها تتضمن معنى المفارقة البنائية من خلال الحديث بين نبي الله موسى والخضر (عليهما السلام) وكذلك الأحداث الثلاثة:

{ خرق السفينة } { وَرَأَاهُم مِّلْكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا }.

{ قتل الغلام } { أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا }

{ بناء الجدار } { فَكَانَ لِلْغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا }.

إذ تبين لنا هذه الآيات قصة سفر نبي الله موسى (عليه السلام) لطلب لقاء من هو على علم لا يعلمه موسى، وفي سياق هذه القصة تعريض بأهل الكتاب إذ إن الأولى لهم أن يدلوا الناس على أخبار أنبياء بني إسرائيل، وتحضهم على السفر لأجل تحصيل العلم والحكمة لبسط الملك والسلطان (٦٣).

فبعد تلك المحاور تبدأ قصة خرق السفينة التي ذكرناها أنفاً من أنها إحدى المفارقات البنائية إذ يقول تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } ف (إذا) ظرف زمان، ليست متضمنة معنى الشرط، وفي ذلك ما يشير إلى أن الركوب فيها كان لأجل خرقها (٦٤). والاستفهام في " أخرقتها " للإنكار، ومحل الإنكار هو العلة بقوله تعالى " لتغرق أهلها " لأن العلة ملازمة للفعل المستفهم عنه، لذا أكد بقوله: { لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } والإمر بكسر الهمزة: هو العظيم المتصنع (٦٥).

ونجد قصة أخرى في قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } لتظهر العمد في الكلام ذكر اعتراض موسى لا ذكر القتل، لذا عززت بالآية اللاحقة: {فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا } (٦٦).

ومن الملاحظ إن هناك ثلاث آيات في صورة قصة واحدة اعتراض فيها موسى على الخضر (عليهما السلام) ثلاث مرات واحدة بعد أخرى، لا ثلاث قصص اعتراض فيها ثلاث اعتراضات (٦٧)، إذ لو كان كذلك لكانت الصحبة قد انتقضت من أول اعتراض.

ومن هنا يتبين وجه الفرق بين الآيات الثلاث، إذ جعل " خرقها " جواب في الآية الأولى، ولم يجعل " فقتله " و " وجدا " أو " أقامه " جواباً في الثانية والثالثة بل جزءاً من الشرط معطوفاً عليه ( ٦٨ ) ، فالمفارقة هنا مقابلة الإحسان بالإساءة التي كانت محط استنكار موسى التي أدت إلى الفراق بينهما لاعتراضه على ما جاء به الخضر وعدم التزامه بالوعد، فانقل إلى تفسير تلك أحداث بقوله: " سأنبئك " فكان تصرف الخضر في أمر السفينة تصرف يرضى المصلحة الخاصة عن إذن من الله فتصرفه قائم مقام المرء في ماله بإتلاف بعضه لسلامة الباقي، إذ كان الظاهر أفساد وفي الواقع إصلاح؛ لأنه ارتكب أخف الضررين. وأما تصرفه بقتل الغلام "قبوحي من الله جارٍ على قطع فساد خاص يعلمه الله وأعلم به الخضر بالوحي" (٦٩).

والأمر الأخير في قوله تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} فرحمة الله تعالى سبب لإرادة بلوغهما واستخراجهما كنزهما، وهو يتوقف على قيام الجدار ، فأقامه الخضر، وكان سبب انبعاث الرحمة صلاح أبيهما. وقوله تعالى: { ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا } أي إشارة منه إلى أن الذي ذكره للوقائع الثلاث وأعماله فيها هو السبب الحقيقي لها لا ما حسبه موسى من العناوين المترائية من أعمال كالتسبب بهلاك الناس في خرق السفينة، والقتل من غير سبب موجب ، وسوء تدبير المعاش في إقامة الجدار (٧٠). فهذه الأحداث تتضمن معنى المفارقة البنائية فهي تدعيم لبنية الدلالة في النص وتأكيدها فكانت الأحداث مكملة بعضها البعض الآخر وكأنها تعاضيد للمعنى واحد .

#### خامساً: مفارقة الإلماع

يعرف الإلماع على أنه: " تصوب إلى شخص أو شيء ما، قصداً إلى الانتقال من قدره وتحقيه على وجه الخصوص" (٧١). ويبرز لنا هذا التعريف التضاد بين المعاني المباشرة وغير المباشرة، التي يمكن تحقيقها عن طريق التضاد (٧٢)، بمعنى أن النص يقدم دلالة يحاول المتلقي فهم افتراضاتها المباشرة وغير المباشرة وكأنها مجاز .

وإذا تأملنا الخطاب القرآني، رأينا مجالات للمفارقة، تعتمد طريقة الإلماع، إذ تبدو غايتها إنزال المتهم به منزلة متدنية، أو " تكون لغاية طلب النقيض مما يشار بها " (٧٣). ولعل من الجائر أن نجعل من هذا النوع من خطاب المفارقة قوله تعالى: {وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا} (٧٤).

فالسوق هو سير الأنعام أمام رعاتها، إذ يجعلونها أمامهم لترهب زجرهم وسيطهم فهو سيرٌ بخوفٍ وحذر، أما الورود بكسر الواو: أصله السير إلى الماء، وتسمى الأنعام الواردة ورذاً تسميةً على حذف المضاف، أي ذات ورد (٧٥).

فذكر أن الكافرين يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم ناعم عطاش تساق إلى الماء، فتتجسد مفارقة الإلماع في الآية الكريمة إذ تصور لنا حال المجرمين من البشر بأنهم قطع من الماشية يساق ليشرب، وأن المراد بقوله تعالى هو سوق المجرمين إلى النار لا سوق الماشية للشرب، فعرض تعالى حال المجرمين عرضاً بلاغياً بواسطة مفارقة الإلماع يلحظه المرء أكثر فيما لو يذكره صراحة.

كما نجد هذا النوع متمثلاً في قصة ذي القرنين، التي يرويها قوله تعالى: {وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \*...} قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا { (٧٦).

فجدد مفارقة الإلماع في ذكر صنع الله تعالى في القصص الثلاثة من قصص ذي القرنين وما قدر له من التمكين ليتوصل إلى المقاصد المهمة الحيوية، إذ خبره بقوله تعالى: {قُلْنَا يَا دَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا} {الكهف ٨٦} في القصة الأولى، وما علم الأمة في مطلع الشمس من بناء يكنهم ويستترهم في الثانية، إذ يقول تعالى: {كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا}، وما ألهمه الله من دفع فساد يأجوج ومأجوج ببناء السد المتمثلة بقوله عز وجل: {قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} {أثوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أثوني أفرغ عليه قطراً} {فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً} في القصة الثالثة، فجاء أسلوب حكاية هذه القصص على نسق واحد، فكل ما يروى من قوة ذو القرنين تعود لقوة الله تعالى، وذكر صنعه، وبذلك تتوضح لنا مفارقة الإلماع، فالمقصود من ذكر قوة ذو القرنين إنما هو ذكر لقوة الله وعزته، فهو تحقيق من شأن من يعتقد خلاف ذلك.

وهناك أنواع من المفارقات تتمثل في نصوص أخرى منها قوله سبحانه: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} (٧٧) إذ يقول الله تعالى لرسوله محمد (ﷺ): قل يا محمد للناس: إن الذي جنتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك {فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيُكْفُرْ} وهو من باب التهديد والوعيد الشديد.

ففي قوله جل ثناؤه : { وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا } مفارقة لإلماح كونه قصد الانتقاص من قدر الكافرين وتحقيرهم على وجه الخصوص ، فالأصل ممن يستغيث أن ينقذ أما أن يعذب على الاستغاثة فهذه مفارقة واضحة .

وفيما يبدو أن الآية الكريمة تحوي مفارقتين متداخلتين فإلى جانب مفارقة الإلماح نجد مفارقة لفظية في وقوله تعالى { يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ } فالمهل خثارة الزيت، وقيل: هو النحاس الذائب (٧٨). وقيل: أنه الصديد والقيح، وقيل: إنه ضرب من القطران فإذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل أبدانهم كالقميص، وبذلك تكون المفارقة اللفظية .

#### سادساً: مفارقة المفهوم أو التصور

تطلق هذه اللفظة على المعاني المجردة، فتدل على عملية عقلية يقوم بها الفهم؛ لإدراك تلك المعاني أو تكوينها. فالتصور " يعني صياغة المفاهيم والمعاني الكلية مثلما ينطوي على إدراكها. أما معنى اللفظة فإنها تشير إلى عملية التصور العقلي أو تكوين صورة عقلية واضحة لشكل الأشياء " (٧٩).

ويبنى التضاد في هذا النوع، على أساس التعارض، فإننا إذا رأينا إحدى الشخصيات، تسلك سلوكاً شنيعاً، ثم تدعي أنها شخصية نبيلة، فإن التناقض بين الفعل أو القول أو السلوك، وبين التشخيص الفعلي يشير إلى المفارقة. "ربما بُنيت المفارقة في هذا النوع، على احتجاج الضحية احتجاجاً جاداً في الظاهر على غير حق" (٨٠).

وقد تميّز القرآن الكريم بتوظيف مفارقة المفهوم والتصور توظيفاً فنياً لخدم المعنى، ولهذا التوظيف عدّة صور منها: صورة الاستفهام التعجبي والإنكاري التوبيخي، ففي قوله تعالى: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (٨١) استفهام توبيخي، إذ نرى الهمزة في " تأمرون " للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم، والبر هنا: سعة الخير والمعروف، إذ كان الأحبار يأمرّون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم بإتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه، وقيل: كانوا يأمرّون بالصدقة ولا يتصدقون، وإذا أتوا بالصدقات لتفريقها خانوا فيها. ففي هذه الآية وعيد على الخيانة وترك البر ومخالفته القول بالعمل، فانتهم تأمرّون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه، فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم؟ معيّرهم بذلك، ومقبحاً إليهم ما أتوا به (٨٢).

فمفارقة المفهوم أو التصور واضحة في قوله تعالى إذ أراد التوبيخ والتعجب من حالهم، كما أن الاستنكار واضح بين أمر الناس بالبر مع نسيان النفس وهذا ما أراد القرآن أن يوصله إلى ذهن المستمع أو القارئ وهنا تكمن معنى مفارقة المفهوم أو التصور، ونجد من مفارقة المفهوم والتصور في النص القرآني في



قوله تعالى حكاية على لسان أهل الكهف : {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبِّئَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ { (٨٤) فالمفارقة هنا من خلال إشاعة حالة التساؤل والشك التي راودت أصحاب الكهف فور بعثهم، وهذا التساؤل يكشف أمور عجيبة وأحوال غريبة لا يحيط بها العقل البشري .

### سابعاً: مفارقة السلوك الحركي

ترسم هذه المفارقة صوراً للسلوك الحركي لمن تقع منه أو عليه عناصرها ومكوناتها. وهي حركة عضوية، تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية.

ويستعمل السلوك الحركي (غير اللفظي) بين المشتركين في الخطاب، ويعد جانباً ضرورياً ومتمماً للتحليل اللغوي للخطاب المواجهة (٨٥).

كما ينظر الباحثون إلى علم السلوك الحركي، "على أنه يساعد في ربط الوظائف الخطابية بالسمات السياقية أو الموقفية لما وراء النص، حيثما يكون السياق عبارة عن العلاقات الديناميكية التي تربط بين المشتركين في الخطاب" (٨٦).

ويمكننا القول: إذا كان الاتصال اللفظي يؤدي دوراً مهماً في مواقف اجتماعية متعددة، فإن نمط الاتصال غير اللفظي، يؤدي دوراً مهماً أيضاً، سواء أكان مصاحباً ومكملاً للفظ، أو مستقلاً، إذ "أن حركة الجسم، تجعل من الاتصال غير اللفظي عاملاً مهماً في تفسير الرسالة اللفظية إذا كانت مصاحبة لها" (٨٧). وهذا النوع من المفارقة يوظف الاستجابات ومناقضتها للمثيرات، في إنتاج الدلالة التهكمية الانتقادية في قالب لا ينفك عن التصور الحركي الكناي (٨٨).

ولعل هذا النوع من المفارقة متجسداً في قوله تعالى: {أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ { (٨٩) إذ تصور حال المنافقين المختلطة بين جاذب وموانع بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعجات وأكدار (٩٠).

فذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول، فكأنه قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟ فقيل: "يجعلون أصابعهم في آذانهم" ثم قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقيل: "يكاد البرق يخطف أبصارهم وهي إيماءات سلوكية يقوم بها الكافر دلالة على شدة المواقف التي يمر بها ثم يستأنف القرآن الكريم بالفعل (يجعلون) ليصور حركة الأنامل التي عبر عنها بالأصابع من باب الاتساع في اللغة، "فلنذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل" (٩١)، كما لم يخص أصبع السبابة التي تسد بها الأذن فذكر الاسم العام دون الخاص وهذه من آداب القرآن الكريم لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتتابها أولى (٩٢).

إن الآلية الكريمة تمثيل واضح لمفارقة السلوك الحركي فنجدها تبين حال المنافقين في إظهارهم الإيمان، وعلى ما يبدو أن هذا النوع من المفارقات اقرب للذهن وأسهل للنفس كون الحركة دلالة واضحة لا تحتاج إلى مشقة في الفهم .

ومن المفارقات الحركية قوله تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا } (٩٣) أي: يصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التي ذهبت عنه .

كما إن " تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن " (٩٤) فتكون بذلك مثلاً لمفارقة السلوك الحركي.

ومن الجدير بالذكر: إن مفارقة السلوك الحركي في القرآن الكريم كثيرة؛ لأن الله تعالى اعلم بالنفس البشرية التي تميل إلى المحسوسات والسلوك الحركي واحدة من أهم نقاط الاقتراب من ذهن المتلقي .

## الخاتمة

بعد إنجاز البحث بعون الله تعالى لا بد أن نذكر أهم النتائج التي توصل إليها :

١. يقترب مصطلح المفارقة إلى حد كبير من المفارقة لغةً ، إذ ورد في القرآن الكريم والمعاجم العربية بمعنى التفریق، وكذا تناولته الكثير من الدراسات القديمة، والحديثة.

٢. أصالة مصطلح المفارقة في اللغة العربية ، إذ تبرز الدراسات القديمة هذا المصطلح تحت دلالات ومعاني أخرى كالمجاز والتشبيه والكناية... الخ .

٣. تكاد تنحسر الأساليب التي وظفت المفارقة في النص القرآني الوعظ ، والسخرية إلى جانب الكشف عن الذات، والمكونات الداخلية، والنفسية لأبطال القصص والأحداث التي تحدثت عنها.

٤. هناك الكثير من الدراسات الحديثة تناولت المفارقة على أنها مصطلحاً نقدياً ، مما جعلها أكثر وضوحاً، فتوسعت في تفصيل موضوعاته، إذ نرى مفارقة الموقف، ومفارقة الزمن في حين بدا المصطلح غامضاً عند الآخرين.

٥. تجسد المفارقة في بعض النصوص القرآنية الصراع بين ما هو متوقع ،وما هو غير متوقع، وهذا ما لاحظناه على سبيل المثال في قصة النبي موسى والخضر (عليهما السلام) .

٦. اعتمدت المفارقة في الكثير من النصوص على خرق القوانين الكونية، والقواميس الطبيعية، فأظهر القرآن الكريم بواسطتها قدرة وإمكانية على تكوين أفكار غير محدودة .

٧. استعمل القرآن الكريم المفارقة لإبراز قوة الحدث داخل القصص القرآنية بشكل كبير، للتأثير في ذهن المتلقي وعواطفه وانفعالاته، إذ إن لها أثر فعال في تعميق الصورة المتخيلة التي يرسمها النص في ذهن المتلقي .

٨. بنيت أغلب المفارقات القرآنية على أساس التضاد والتناقض بين رؤى المبدع الخاصة والمرجعية المشتركة للمتلقي ،سواء أكان داخل الحدث القصصي القرآني أو خارجه .

٩. ساعدت المفارقة على التمييز بين الدلالات المتعددة للفظ الواحد داخل سياق النص القرآني ،فكان لها الأثر في إيصال هذه الدلالة إلى المتلقي .

١٠. تقترب مفارقة اللفظة بشكل ملحوظ من مفارقة الحكاية أو الإيهام ،فكلاهما من باب المجاز غير أن الأخيرة يتجسد مغزاها في حكاية تخرج إلى المعنى المجازي .

١١. أظهرت المفارقة في النصوص القرآنية قيمة الحركة الجسدية التي تصدر عن الإنسان، ودورها في الكشف عن النوازع النفسية لدى أبطال القصص القرآنية.

المصادر والمراجع :

القران الكريم

١. الإلتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت(٩١١هـ) تد: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ، القاهرة ط. ٣، ١٩٨٥م.
٢. أدب الإسلام وعلم الاتصال :د.حسن رجب ،(د.ت)(د.ط).
٣. أسرار البلاغة :لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) تد: محمد رشيد رضا ،دار المطبوعات العربية ، القاهرة (د.ت).
٤. بنية الشعر العربي المعاصر :د. محمد اليوسفي، دار النبراس للنشر، تونس، ١٩٨٥م.
٥. البيان والتبيين : أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ت(٢٥٥هـ)، تد: عبد السلام هارون ،ط. ٥، القاهرة ، ١٩٨٥م.
٦. تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن :ابن أبي الإصبع المصري ت(٦٥٤هـ)، تد:حنفي محمد شرف،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
٧. التحرير والتتوير : محمد طاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط. ٢٠٠٠م.
٨. التفسير الكبير: للإمام فخر الدين محمد بن الحسن البكري الرازي ت(٦٠٤هـ)، تد: إبراهيم شمس الدين ،احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، لبنان ، (د.ت).
٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، ت(٣١٠هـ) تد: محمود شاكر، أحمد شاكر، (د.ط)،(د.ت) .
١٠. جواهر البلاغة في معاني البيان والبديع :احمد الهاشمي ،ط. ١٢، بيروت ، (د.ت).
١١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :يحيى بن حمزة بن علي العلوي ت(٧٢٥هـ) ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط. ١، ١٩٩٥م .
١٢. العين :الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تد: د.مهدي المخزومي ، ود.إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد، ١٩٨٢م .
١٣. عيون الأخبار : ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ،المؤسسة المصرية للطباعة ، ١٩٦٣م.
١٤. الكشف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :أبو القاسم محمد الزمخشري الخوارزمي ت(٥٣٨هـ)، تد: عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ط. ١، ٢٠٠٣م .
١٥. لسان العرب :ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ت(٧١١هـ)دار صادر، بيروت، ١٩٠٦م
١٦. مختار الصحاح :محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ت(٦٦٦هـ) دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣م.

١٧. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٨ .
١٨. معجم الوسيط : إخراج د. إبراهيم أنيس وآخرون ، وإشراف حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ، ط ٢ ، (د.ت) ..
١٩. مفارقات المتنبي إنساناً وشاعراً : مقالة د. أحمد إسماعيل النعيمي ، جريدة العراق ، عدد ٩٢٦ ، ٢٠٠١م
٢٠. المفارقة : د.نبيلة إبراهيم مجلة فصول ، المجلد السابع ، العدد ٣-٤ ، ١٩٨٧م .
٢١. المفارقة الشعرية المتنبي أنموذجاً : سناء هادي عباس ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤م .
٢٢. المفارقة والأدب دراسة في النظرية والتطبيق ، د.خالد سليمان ، دار الشروق ، ط ١ ، عمان ، ١٩٩٩م .
٢٣. المفارقة في شعر المتنبي : د.عبد الهادي خضير ، مجلة كلية التربية بنات ، جامعة بغداد ، العدد ١١ ، ٢٠٠٠م .
٢٤. المفارقة في كافوريات المتنبي . قراءة في نصوص مختارة : أمل نصير ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، إربد . الأردن ، ١٩٩٧م
٢٥. المفارقة في القصص الستيني العراقي ، محمد ونان جاسم رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠٠٠م .
٢٦. المفارقة في القصص العربي المعاصر : سيزا قاسم ، مجلة فصول ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، ١٩٨٢م .
٢٧. المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة : د.محمد العبد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٦م .
٢٨. المفارقة موضوعاً شعرياً قبل الإسلام : د. أحمد إسماعيل النعيمي ، مجلة كلية التربية بنات ، جامعة بغداد ، العدد ٢ ، ٢٠٠٢م
- المفارقة وصفاتها : دي .سي . ميوبك ، ترجمة : د.عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون ، بغداد ١٩٨٧م .

الهوامش :

- (١) معجم العين: ١٤٧/٥.
- (٢) البقرة: آية ٥٠.
- (٣) مختار الصحاح : ٥٠٠/٢، معجم العين : ١٤٨/٥.
- (٤) الأنبياء: آية ٤٨.
- (٥) الإسراء: آية ١٠٦.
- (٦) الأنفال: آية ٤١.
- (٧) لسان العرب: ٢٩٩/١٠.
- (٨) يُنظر : المصدر نفسه: ٣٠٠/١٠.
- (٩) يُنظر : معجم الوسيط: ٦٨٥/٢.
- (١٠) المائدة: آية ٢٥.
- (١١) مختار الصحاح : ٥٠١/٢.
- (١٢) المفارقة القرآنية في بنية الدلالة: ٤.
- (١٣) النيان والتبيين: ٨٩/١.
- (١٤) عيون الأخبار: ١١٦ ١٢٠.
- (١٥) أسرار البلاغة في علم البيان: ٨٢.
- (١٦) المفارقة وصفاتها: ٦٣.
- (١٧) يُنظر: المصدر نفسه: ١٧.
- (١٨) يُنظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع : ٢٤١.
- (١٩) تحرير التعبير : ١٤٧، ١٣٨.
- (٢٠) يُنظر: الطراز المتضمن الأسرار البلاغة : ٤٢٨.
- (٢١) يُنظر: المفارقة : ١٣٤.
- (٢٢) يُنظر: المصدر نفسه : ١٣٣.
- (٢٣) يُنظر: بنية الشعر العربي المعاصر: ٢٩٣٠.
- (٢٤) المفارقة في شعر المتنبي: ٩١.
- (٢٥) المفارقة : ١٣٣.
- (٢٦) المفارقة في القصص العربي المعاصر: ٢٤.
- (٢٧) المفارقة موضوعاً شعرياً قبل الاسلام : ٢١.
- (٢٨) المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق: ٩٤.
- (٢٩) المفارقة وصفاتها: ١٩.
- (٣٠) المفارقة في القصص الستيني العراقي: ٦٢.
- (٣١) المفارقة الشعرية، المتنبي أنموذجاً: ٦٤.
- (٣٢) المفارقة القرآنية : ٤٢.

- (٣٣) المذثر: الآيات (١١١٦).
- (٣٤) الكشف: ٢٢٥/٦.
- (٣٥) المفارقة القرآنية: ٥٤.
- (٣٦) ينظر: المفارقة في القصص العربي المعاصر: ١٤٤.
- (٣٧) ينظر: المفارقة القرآنية: ٥٥.
- (٣٨) إبراهيم: الآية ١٦.
- (٣٩) ينظر: تفسير ابن كثير: ٤١/٤٨٥.
- (٤٠) تفسير الكشف: ٣٧.
- (٤١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٢/١٤.
- (٤٢) الكهف آية ١١.
- (٤٣) معجم مقاييس اللغة: ٦/٣٩٩.
- (٤٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٥/١٤٠.
- (٤٥) الإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٠٥.
- (٤٦) ينظر: المفارقة القرآنية: ٨٢.
- (٤٧) الحج: الآية ٧٣.
- (٤٨) ينظر: تفسير ابن كثير: ٥١/٤٥٥.
- (٤٩) الكهف: الآيات ٣٢ ٤٤.
- (٥٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/٣١٦.
- (٥١) تفسير ابن كثير: ٥/١٥٨.
- (٥٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥/١٥٨.
- (٥٣) فصلت: الآية ٥٠.
- (٥٤) مريم: الآية ٧٧.
- (٥٥) التفسير الكبير: ٣/١٠٧.
- (٥٦) ينظر: تفسير ابن كثير: ٥/١٥٩.
- (٥٧) ينظر: المفارقة القرآنية: ١٠٣.
- (٥٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣.
- (٥٩) المصدر نفسه: ١٠٤.
- (٦٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٤.
- (٦١) الجمعة: الآية ٥.
- (٦٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩/٢١٤.
- (٦٣) الكهف: الآيات: (٦٠٨٢).
- (٦٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦/٣٦٠.
- (٦٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٦/٣٧٥.

- (٦٦) يُنظر :المصدر نفسه: ٣٧٦/١٦ .
- (٦٧) الكهف: آية ٧٧ .
- (٦٨) يُنظر :تفسير الميزان: ٣٤٠/١٦ .
- (٦٩) يُنظر : المصدر نفسه: ٣٤١/١٦ .
- (٧٠) التحرير والتنوير: ١٦/١٧ .
- (٧١) يُنظر :الميزان في تفسير القرآن: ٣٤٥/١٦ .
- (٧٢) المفارقة القرآنية: ١١١ .
- (٧٣) يُنظر :المصدر نفسه: ١١١ .
- (٧٤) المصدر نفسه: ١١٢ .
- (٧٥) مريم: الآية ٨٦ .
- (٧٦) يُنظر :تفسير التحرير والتنوير: ١٦٩/١٧ .
- (٧٧) الكهف: الآيات (٨٣٩٨) .
- (٧٨) الكهف: الآية (٢٩) .
- (٧٩) يُنظر :تفسير الميزان: ٣٠١/١٦ .
- (٨٠) موسوعة علم النفس :أمجد رزق: ٧٣ .
- (٨١) المفارقة القرآنية: ١٢١ .
- (٨٢) البقرة: الآية ٤٤ .
- (٨٣) يُنظر :تفسير الطبري: ١٠/٢ .
- (٨٤) الكهف آية ١٩
- (٨٥) يُنظر :المفارقة القرآنية: ١٤٥ .
- (٨٦) المصدر نفسه: ١٤٦ .
- (٨٧) أدب الإسلام وعلم الاتصال: ٨٠٨١ .
- (٨٨) يُنظر : المفارقة القرآنية: ١٤٨ .
- (٨٩) البقرة: الآية ١١ .
- (٩٠) يُنظر : التحرير والتنوير: ٢٠٦/١ .
- (٩١) المصدر نفسه: ٢٠٦/١ .
- (٩٢) يُنظر :المصدر نفسه: ٢٠٧/١ .
- (٩٣) الكهف: آية ٤٢ .
- (٩٤) التحرير والتنوير: ٢٠٧/١ .